حرية
عدالة
مواطنة

البديل

اسبوعية-سياسية-مستقلة

رئيس التحرير : حسام ميرو

العدد (١٥٦) ٢٠١٤/٠٩/٧ م | www.al-badeel.org | Issue (156) 7/09/2014

الأسد المهدد من حليفه في طهران

حسام ميرو

لم يحظَ تصريح وليد المعلم في الخامس والعشرين من الشهر الماضي والذي قال فيه "إننا مستعدون للتعاون إقليمياً ودولياً في مجال مكافحة الإرهاب" بأي اهتمام جدي من قبل المجتمع الدولي، فقد أتت التصريحات الأمريكية والأوروبية لتؤكد بأن نظام الأسد لم يعد مؤهلاً للقيام بمثل هذه المهمة.

وفي تحليل المواقف الغربية تجاه العرض الذي قدمه النظام السوري، فقد اهتمت مراكز الأبحاث الغربية خلال الأسبوع الماضي بتحليل الوضعين السوري والعراقي، خاصة مع الحديث عن ضرورة إيجاد حلف يقوم بمكافحة الإرهاب متمثلاً بتنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، وفي سياق ما أنتجته المراكز الغربية من أوراق تتضح الكثير من الأسباب التي تجعل الغرب لا يعير أي اهتمام يذكر بعرض النظام السوري.

لا يعتقد الغرب أن نظام الأسد يمتلك الشرعية لمثل هذه المهمة، وإشراكه في محاربة تنظيم الدولة الإسلامية يعني زيادة النقمة السنية، وتوحدها وفقاً لهذه الحالة وراء "داعش"، فبعد أن تطيّف الصراع في سوريا لم يعد من الممكن إنكار حالة الانقسام المجتمعي والطائفي، والتي جعلت الخيارات أمام الشعب السوري بكل مكوناته خيارات صعبة، فالنظام مضى في خياراته دون حساب التكلفة النهائية على المستوى الوطني.

لقد استخدمت أطراف داخلية وخارجية الفصائل السلفية الجهادية المتطرفة، ومنها النظام السوري، وذلك اعتقاداً منه بأن التطرف سيسهم في تشويه صورة الحراك الشعبي، كما أنه سيسهم بعد ذلك بإعادة تأهيله بوصفه الطرف الأكثر قدرة على مواجهة الإرهاب، وهو الذي استخدم الإرهابيين في العراق، كما تعاون مع الأمريكيين في تزويدهم بمعلومات ثمينة عن الإرهابيين في العراق وأماكن أخرى.

كانت قراءة النظام السوري من أساسها خاطئة لمجمل المعطيات في الحراك السوري، وبنى سيناريوهات خاطئة في مواجهة استحقاق تاريخي مؤجل، يتمثل في التحول الديمقراطي، وأراد تحويل الحراك الشعبي إلى صراع على الشرعية والسلطة، مستنداً إلى معطيات ثابتة في تحالفاته مع روسيا وإيران.

خسر النظام خلال السنوات الثلاث الماضية سيطرته على مساحات واسعة من الأرض السورية، وفقد في محاولته لاستعادة المدن الكثير من قدراته العسكرية، وواجه احتمالات ضربة أمريكية، وسلم معظم سلاحه الكيماوي، وورط حزب الله معه ليتمكن من الصمود، وكان لكل تلك المعطيات دورها في إضعاف النظام، كما أتت الأحداث التي جرت مؤخراً في عرسال اللبنانية لتشير إلى مخاطر استمرار حزب الله في دعم النظام السوري على الدولة اللبنانية، وهو ما يعني ضغطاً كبيراً على الحزب، ومن خلفه إيران.

إن تصريح وليد المعلم يشير إلى حالة الإفلاس السياسي للنظام، فبعد أن اتهم الغرب بدعم المعارضة والإرهابيين ها هو يطلب التعاون مع الغرب في مكافحة الإرهاب، والقضاء على تنظيم "داعش"، لكن، من دون أن يملك ما يكفي من أوراق مقنعة وضاغطة على الغرب للقبول بإبرام صفقة معه، تسمح له بإعادة اكتساب شرعيته، وتأهيل نفسه.

في العراق لم يكن للإيرانيين أن يتخلوا عن نوري المالكي لولا سقوط الموصل أمام تنظيم الدولة، وفشل المالكي في حل الأزمات السياسية للعراق، وهو ما جعل تنظيم الدولة الإسلامية رأس حربة لقوى عراقية للضغط على المالكي وإيران، وقد بادرت إيران إلى سحب الملف العراقي من يد قاسم سليماني.

موقع الأسد اليوم في الخارطة السورية ستحدده إلى حد كبير خيارات طهران، فهي أمام استحقاقات متعددة، مثل الملف النووي، ومصالحها في العراق، وسوريا، ولبنان، وهي يجب أن تكون قد قرأت جيداً المعطى العراقي، حيث لم يكن من خيار أمامها سوى تقديم تنازلات سوف تقلص من نفوذها.

هل ستتمسك إيران بالأسد، أم أنها ستعيد ترتيب أوراقها في سوريا ولبنان؟.

من المعروف أن إيران دولة عقائدية، لكن من المعروف أيضاً أنها دولة براغماتية، وهي ستقوم بعمليات حسابية سياسية لتعيد تقييم موقفها من أزمات المنطقة، وطبيعة مشاركتها في الحلول، وما يمكن أن تقدمه من تنازلات للوصول إلى تسويات.

سوريا في حسابات إيران أبعد من الأسد، كما كانت حساباتها في العراق أبعد من المالكي، وبناءً عليه فإن موقع الأسد اليوم مهدد من حليفه الإيراني، وليس من الآخرين.

حلف يتشكل وقاعدة «التنظيم» تزداد وتتهم أمريكا بالنفاق

سوريون: محاربة التنظيم يجب أن تبدأ بمحاربة نظام الأسد

عصام عطا الله

تفاوتت ردود الفعل في الشارع السوري حول الحلف الذي تسعى الولايات المتحدة الأمريكية لتشكيله وتقوده ضد تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا، ومن المتوقع أن تكون ضربات جوية، واختلفت وجهات النظر حول إمكانية الضربة أولاً، وحول أهدافها ثانياً، وحول نتائجها ثالثاً، فيستبعد كثير من السوريين ضربة جوية أمريكية على التنظيم لعدم وجود خطة استراتيجية أمريكية للتدخل العسكري في سوريا، ولاسيما في الوقت الراهن، ويرى قسم من السوريين أن التنظيم يستغل تردد أمريكا، وعدم استعدادها للتدخل في سوريا على الأرض، ويدفعها دفعاً لتوجيه ضربة جوية محدودة في سوريا لأن ما سيحققه من فوائد ستكون أضعاف ما ستسببه هذه الضربة المحدودة من خسائر للتنظيم، ولا سيما إذا علمنا أنّ التنظيم لا يملك مقرات عسكرية واضحة شأن الجيوش الرسمية للدول، كما ينتشر عناصره على شكل جماعات صغيرة ويتنقلون باستمرار من مكان إلى آخر، ومعظم مقرات التنظيم لا يتواجد فيها إلا أعداد قليلة جداً، أو موظفون مدنيون لا تشكل خسارتهم خطراً مهماً على التنظيم، أما القيادات فيجهل أماكن وجودها.

ويرى قسم من السوريين أن الضربة واقعة لا محالة، فأخلى كثير منهم منازلهم (لاسيما القريبون من مقرات تنظيم الدولة) في المدن الكبرى، وتوجهوا نحو قراهم وأريافهم تحسباً لهذه الضربة، ويُختلف حول هدف ضربة جوية لا يتبعها تدخل على الأرض، أو دعم قوى معينة على الأرض كما حدث بدعم البشمركة في شمال العراق، ثمّ يختلف السوريون حول النتائج (الثمرة) المرجوة، هل تريد أمريكا مجرد إضعاف التنظيم، أم معاودة بث الحياة في نظام الأسد أم دعم الثوار أم مجرد فض العتب حتى لا تُلام؟!

لكن هناك شبه إجماع بين السوريين الذين يعيشون في المناطق الخاضعة تحت سيطرة التنظيم على عدة أمور:

معارضة الضربة الأمريكية إذا لم تُسبق بضربة جوية لمفاصل القوة عند النظام السوري، وإذا لم يتم التنسيق مع الثوار السوريين لقطف ثمار هذه الضربة، لأن ضربة من دون مراعاة هذين الأمرين سينظر إليها على أنها تنفيذ لمصلحة أمريكا دون أي اعتبار لمصلحة السوريين، وينظر إليها استهداف للتيار الإسلامي بغض النظر سواء أكان متطرفاً أو معتدلاً، وربما هذا ما يسعى له التنظيم، فالتنظيم يريد ضربة سريعة خفيفة من دون أهداف، وتمكنه من حشد الشارع خلفه لكونه يحارب قوى الكفر (أمريكا والغرب) وقوى الاستبداد والطغيان (النظام السوري وإيران).

عبثية الضربة ما لم تقترن بخطة شاملة للوضع السوري، ولمآلات النزاع، فهي بمثابة ذر الرماد في العيون، وحبوب مسكنة لن تفيد شفاء السوريين، بل ستزيد الأمور تعقيداً، وستخلط الأوراق.

لم يذكر لنا التاريخ مثالاً واحداً على تدخل إيجابي لأمريكا

السوريون لا يريدون أن يكونوا فئران تجارب، السوريون يريدون تحرير وطنهم والعيش بحرية وكرامة، وسئموا من تلاعب القوى الدولية بهم وبثورتهم، وفقدوا الثقة بهذا المجتمع الدولي الذي نظر إليهم وهم يذبحون لأكثر من ثلاث سنوات دون أن يحرك ساكناً، وأقام الدنيا ولم يقعدها عندما هُددت مصالحه، وذبح مواطن له.

3 – الضربة المحدودة غير المدعومة برضا الناس وتأييد الثوار هي استمرار السياسة الأمريكية بإدارة الأزمة، وستؤدي لزيادة شعبية التنظيم والاحتقان الشعبي ضد الأنظمة العربية، ولا سيما المشاركة بالحلف، فالعقل العربي مبرمج في تأييد كل من يقف بوجه أمريكا والغرب عموماً، ويرجع ذلك لمواقفهم السلبية من القضية الفلسطينية وما حدث في العراق، بالإضافة إلى ذلك تزيد الضربة عناصر تنظيم الدولة الإسلامية يقيناً بصدق هدفهم وأحقية مشروعهم، فيتمسكوا بالتنظيم ويزداد المنتسبين إليه تحت شعار محاربة أمريكا والغرب.

4 – ضرب المدنيين ووقوع خسائر بينهم كما حدث في أفغانستان، وشل الحركة التجارية، وزيادة النزوح من المدن التي يسيطر عليها التنظيم والتي تضم عدداً كبياً من النازحين من كافة المدن السوريا، لأنها كانت لوقت قريب أكثر المدن هدوءً وخاصة الرقة ومنبج وجرابلس.

وفي محاولة لرصد آراء شرائح من السوريين حول

التوجه الأمريكي إلى ضرب تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" التقت "البديل" عدداً من السوريين المقيمين في أراضٍ خاضعة لسيطرة التنظيم، وبعض ممن ينتمونَ إلى التنظيم:

أبو غيث ...: أمريكا لا تجرؤ على ضرب تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا، وضربتها ستكون فاشلة ولن تحقق شيئاً، وضرباتها في العراق لم تحقق شيئاً يذكر، ولم تقلب الموازين على الأرض، فما حدث في العراق عبارة عن انسحابات تكتيكية، والدليل عدم خسارتنا للمقاتلين، فلو انتصروا علينا كما يدعون كذباً لصوروا جثث شهدائنا.

محمود طالب جامعي: الضربات الأمريكية المتوقعة ستؤثر على التنظيم من حيث ممارسة السلطة، فلا يوجد من يراجع مقرات التنظيم وهي عرضة للقصف، وتؤدي هذه الضربات إلى زيادة الحرص الأمني خوفاً من استثمار القصف من قوى على الأرض فتزداد الاعتقالات باسم خلايا نائمة تابعة للجيش الحر وللغرب.

مح ج: فشلت أمريكا بالقضاء علينا حين كنا تنظيماً صغيراً، وعندما كانت تملك 130 ألف جندي على الأرض في العراق، وقبل أن يمن الله علينا بهذه الفتوحات، ويلم شملنا تحت إمرة أمير المؤمنين البغدادي، الموازين اختلفت وأمريكا لا تجرؤ على إرسال جنودها، والضربات وفق العلم العسكري لا فائدة لها ما لم تتبع بتدخل على الأرض، وهذا ما فهمه الغرب الكافر ومنع الطاغوت الأكبر من توجيه ضربة جوية لنا في سوريا فهو لا يملك في سوريا صحوات مثل الصحوات العراقية (قوات المالكي، البشمركة). والغريب أن المنافقين في سوريا لم يفهموا هذه الحقيقة بعد.

ح ش مقاتل في الجيش الحر: لا أرى فائدة تذكر لهذه الضربة إذا لم يتم تزويد الثوار بسلاح نوعي وبذخيرة كافية، وأي ضربة دون تسليحنا ستصب في مصلحة النظام، وتنظيم الدولة.

أبو أحمد عنصر سابق في الجيش الحر: إن قيادات الجيش الحر والقيادات البارزة بالمعارضة منفصلة عن الواقع وهي تعمل لمصالحها الضيقة والمكاسب المادية والوعود بمناصب من قبل الغرب، وتعرف تماماً أن أغلب العناصر لا يحاربون تنظيم الدولة الإسلامية في صف الغرب والنظام، وسينقلبون على قادتهم وربما ينضمون للتنظيم في حال زيادة الضغط عليهم لمحاربة التنظيم تحت رعاية غربية، والأسد في مكانه يقصف المدنيين، ويشارك بقصف مقرات التنظيم.

أحمد (محامي): زاد الوجه الأمريكي قبحاً، فأمريكا تدخلت في العراق، وأعلنت استعدادها للتدخل إذا هُددت مصالحها، وتركت السوريين يعانون سنيناً دون أن تنظر إليهم، وعليه أرى عدم تدخلها في سوريا لأن مصالحها لم تهدد، فالذي يوجه السياسة الأمريكية المصلحة لا غير.

عمر (مدرس): لم يذكر لنا التاريخ مثالاً واحداً على تدخل إيجابي لأمريكا، وعندما طلب السوريون تدخلها الإيجابي وحمايته من طيران الأسد، تجاهلت استغاثاتهم.

علي (طبيب): أمريكا ستوجه ضربة لبعض مقرات التنظيم في سوريا حفظاً لماء الوجه، لأنها وببساطة لا تملك خطة واضحة في سوريا، وهي سعيدة بما يجري في سوريا ما دامت مصالحها بمنأى عن التهديد.

أمريكا أخطأت في العراق وأفغانستان والشعوب من تتحمل تبعات أخطائها

أبو سعيد صاحب محل خضار: أشعر أن الجميع يلعب لعبة كبيرة، وكأن الجميع يعزف على وتر واحد وهو تدمير البلد، فلو كانت أمريكا تريد القضاء على الأسد وتنظيم الدولة لدعمت عدوهم، أي لدعمت الثوار بالسلاح كما فعلت مع حلفائها في العراق، لنا الله.

أبو محمد: نحن ضد التنظيم وتصرفاته التي ينتهجها في مناطقنا، حارب الحرية التي خرجنا من أجلها، ونتمنى أن يزول التنظيم، ولكن لا نعتقد أن الحلف قادر على إزالته، لأن التنظيم فكر أصبح بعقول شريحة واسعة من الشباب، إذا أراد الغرب إزالته فعلاً فعليه أن يحارب الأسد أولاً، وتحقيق الحرية والكرامة في باقي مناطق سوريا، وعندها فقط تنسحب الحاضنة الشعبية من التنظيم، ويتخلى عناصره عنه لزوال السبب الرئيسي لوجوده، وهو ظلم الأسد، وتبقى فئة قليلة تضمحل لتزول مع الزمن دون سفك دماء كما لو حاربه الغرب اليوم.

عمار نازح من حمص: نحن لا نريد أن نكون أداة بيد الغرب، والعرب الذين صمتوا على مجازر النظام، واليوم يريدون أن يحاربوا التنظيم بقذائف وصواريخ تقع على رؤوسنا وتقتل أبناءنا وتشردنا مرة أخرى بعد ما شردنا الأسد ونظامه، نريد أن نرجع لبيوتنا ونتخلص من بشار الأسد ونظامه، وبعدها نتخلص من هذا التنظيم المتشدد الذي لا يمكن أن يبقى لانفصاله عن الواقع.

فهد (عامل نجارة سابق، وحالياً في التنظيم):

نتمنى أن يزول "التنظيم" ولكن لا نعتقد أن الحلف قادر على إزالته

أمريكا منافقة، وهي تدعم مصالحها فقط، ولا تريد للإسلام أن يكون له مكانة، واليوم تريد أن تحاربنا، لكن مهما فعلت فهي لن تنجح، والتنظيم يكسب أعضاء جدد كل يوم، ومن يدعون أنهم من الثوار ويأخذون السلاح من أمريكا يعرفون أن أمريكا تخلت عنهم عندما كانوا يحتاجونها، وبعض الذين قاتلوا في الجيش الحر انضموا إلى التنظيم، فهم يعرفون أنه يدافع عن دولة الإسلام، ولم يعودوا يثقون بالغرب، وفي مقدمتهم أمريكا، وهي لن تستطيع أن تحاربنا، وإذا أرادت ذلك فعليها أن ترسل جنودها، وهي لن تفعل، وهو ما نعرفه جيداً في "التنظيم".

مأمون (إعلامي) : أمريكا أخطأت في العراق وأفغانستان والشعوب من تتحمل تبعات أخطائها المستمرة، حيث قتلت مئات الآلاف وشردت الملايين بحجة مكافحة الإرهاب، وخرجت أمريكا كما دخلت، فلا الإرهاب توقف، ولا أهداف الشعوب تحققت، ولعلّ العكس هو ما حصل، واليوم تكرر تجربتها من أجل مصالحها والنتائج المتوقعة غير مطمئنة، وأمريكا والعالم يعرفون طرقاً للتخلص من الإرهاب، وذلك بالتخلص من مسبباته الرئيسة، وهي ديكتاتوريات قائمة وظلم حاصل وتجاهل حقوق.

يبدو واضحاً أن النقمة على أمريكا متعددة الأسباب، ومعظم من التقتهم "البديل" يشعرون بأن أمريكا تركت السوريين لمصيرهم، وهي اليوم تحاول أن تتدخل تحت ذريعة محاربة "داعش"، ولم تكترث لقتل السوريين على مدار السنوات الماضية على يد النظام السوري، وبالمقابل فإن الخوف من التدخل الأمريكي هو خوف جدي عند المدنيين الذين يشعرون أنهم الضحية، فالنظام قصف مدنهم وقراهم، والغرب تخلى عن الجيش الحر، واليوم تريد أمريكا محاربة "داعش" ما يعني للمدنيين التعرض من جديد للقصف، كل ذلك في الوقت الذي تحكم فيه "داعش" المدن والقرى وتمد نفوذها وتستولي على الموارد وتكفر كل من يقف في وجهها.

مقومات وتحديات المواجهة العسكرية الامريكية مع «داعش»

موسى القلاب*

باتت المواجهة العسكرية الامريكية مع الدولة الاسلامية في العراق والشام "داعش" أمراً حتمياً بعد كل ما جرى على مسرح الأحداث في العراق وسوريا من جرائم التطهير العرقي والديني وذبح الصحفيين الأمريكيين، وتهديد آخرين بقطع الرأس، واحتمالية هجوم التنظيم في مراحل لاحقة على دول مجاورة ، مثل الأردن والسعودية.

رغم أن الضربات الجوية الامريكية لعناصر التنظيم في منطقتي سد الموصل وناحية "أمرلي" جاءت متأخرةً نسبياً، الا انها كانت مؤثرةً الى حدٍ ما، كونها عززت صمود قوات برية تابعة للبشمركة الكردية ولمليشيات تركمانية شيعية محلية، بمشاركة محدودة لطائرات عراقية. وساهمت كذلك في فك الحصار عن عدد المدنيين المهددين بالفناء، واغاثتهم وإجلاء بعضهم من المناطق الخطرة في شمال العراق.

ثمة مقومات مهمة للمواجهة الامريكية مع "داعش"، يتمثل أبرزها في قدرة وكفاءة الجهد الجوي الأمريكي، على توجيه ضربات دقيقة وتحقيق إصابات مؤثرة ليلاً ونهاراً في صفوف هذا التنظيم الإرهابي، والتي قد تحد من تقدمه واندفاعه في كثير من المحاور الرخوة، خصوصاً تلك التي تُعد مقتربات خطيرة نحو مركز العاصمة العراقية بغداد.

يأتي التفوق الجوي الأمريكي المُطلق في ساحة المعركة أحد مقومات التسليح الرئيسية، في غياب أية أسلحة للدفاع الجوي لدى "داعش" – حتى الآن – خصوصاً ما يعرف بصواريخ أرض – جو الموجهة والمحمولة على الكتف من قبل الأفراد المسلحين، والتي قد تحد نسبياً من مرونة العمليات الجوية الأمريكية من قبل الطائرات القتالية، سواءً كانت بطيار أو بدون طيار، فيما لو توفرت للتنظيم دفاعات جوية في أي وقت.

أما أهم المقومات التكتيكية فيمكن تصنيفها تحت خانة كفاءة الاتصالات والاستخبارات والقيادة والسيطرة الميدانية الأمريكية المتعلقة بتقدم قوات "داعش" على الأرض.

كما أن التحالف الإقليمي والدولي المزمع تشكيله بقيادة الولايات المتحدة يضيف عاملاً نوعياً مهماً، حيث سيتم من خلاله تعزيز قدرات القوات البرية الكردية والعراقية غير القادرة على الحسم في كثير من المناطق، وكما جرى في مدينة تكريت مؤخراً، وعجز جنود البشمركة، وتسليحهم الضعيف عن حماية " أربيل" عاصمة إقليم كردستان، لولا المساندة الجوية الأمريكية المباشرة والسريعة في حينه.

في هذا الصدد، يرى الأمريكيون ضرورة إشراك قوات مسلحة من دول سنية لمحاربة قوات "داعش" على الأرض، وحصارها وتضييق الخناق عليها، بهدف تشتيت جهدها والعمل على تقهقرها وإجبارها على الانسحاب إلى مواقع خلفية مكشوفة تحت ضربات جوية إجهاضية تؤدي في النهاية إلى هزيمتها، واستسلام عناصرها المعزولين.

من المحتمل أن تنتشر بناءً على هذه الخطة العسكرية التي يجري إعدادها بدقة وحرص شديدين، طلائع التشكيلات العسكرية، وفي مقدمتها قوات العمليات الخاصة "كوماندوس ومظليين"، أمام مواقع "داعش" المتقدمة لصدها وكسر حدة هجماتها المتوقعة، ووراء قواعد الانطلاق الخلفية ل "داعش" لقطع خطوط مواصلاتها وإمداداتها اللوجستية، لا سيما تلك المراكز المتواجدة داخل الأراضي السورية في منطقتي الرقة ودير الزور.

أما أهم التحديات التي تقف أمام المواجهة الأمريكية والحليفة في قتال "داعش" فهي سعة المسرح الجغرافي الذي تنتشر عليه قوات "داعش" في كل من العراق وسوريا. حيث يتعمق هذا الانتشار في غرب وشمال غرب العراق، وفي شرق وشمال شرق سوريا، ما يشكل جبهةً قتالية مترامية الأطراف يصعب على القوات الجوية الأمريكية تدمير عناصر "داعش" المتحركة على الأرض فيها، خصوصاً وأنها تتنقل عبر تضاريس أرضية وفي بيئات مناخية متنوعة، تعرف كيف تتعايش معها وتتكيف فيها، في حين أنها تتلقى الدعم والإسناد المستمريْن من قبل حواضن شعبية سنية تمتد على طول وجوانب حوض نهر الفرات السوري والعراقي وصولاً الى الحدود التركية في الشمال، بما في ذلك المدن والبلدات والقرى التي بايعت: (دولة الخلافة الإسلامية بقيادة أبو بكر البغدادي، على الولاء والطاعة والقتال والاستشهاد في سبيل الله).

قد ترى الحواضن الشعبية السنية الداعمة لتنظيم "داعش" بأن قضيتها الأساسية ليست في صمود وبقاء "داعش" كحركة أو منظمة جهادية، لكنها تتجاوز ذلك إلى مصير محتوم، فإما الحياة الكريمة أو الموت من أجلها. وعليه من الصعب أن تتخلى العشائر السنية ومكونات الجيش العراقي السابق وحزب البعث المنحل، عن فكرة ومهمة قتال أية قوات أجنبية غازية، حتى ولو كان قسمٌ منها من دول سنية إقليمية وغير إقليمية.

من جانب آخر، ربما يجد الجنود السنة العرب المقاتلون في صفوف قوات التحالف بأنهم متورطون في القتال إلى جانب قوات أجنبية ومن خلال أنظمة سياسية حليفة للغرب والولايات المتحدة ضد إخوانهم السنة في الموصل والأنبار، ما يترتب عليه من وجهة نظرهم إضعاف السنة وتقوية نفوذ وظلم وتسلط الشيعة المدعومين من قبل ايران في العراق وسوريا. ما يهدد بوقوع انشقاقات عسكرية وأمنية ميدانية حساسة وخطيرة، ليمتنع الجنود السنة في قوات التحالف عن قتال قوات "داعش" أو ربما ينضموا للقتال معها ضد القوات المعادية. وقد يتسبب مثل هذا الوضع بحصول تداعيات خطيرة قد تقود إلى تصدع التحالف الدولي ضد "داعش" سياسياً وعسكرياً.

إذْ أن حرب أنظمة سياسية عربية مع قوى دولية وغربية قد يُفسَّر من قبل السنة في العراق وسوريا بأنها مؤامرة على قضيتهم الأساسية في تحقيق التوازن السياسي والاجتماعي والاقتصادي مع الشيعة في العراق والعلويين في سوريا، وهذه مسألة مصيرية لا يمكن تقبل خلط الأوراق فيها في الوقت الراهن على الاقل. لذا يشكل بقاء الأسد في سوريا ونفوذ الكتل الشيعية الطائفية في العراق أهم التحديات أمام مهمة التحالف لهزيمة "داعش" على المدى القريب.

من هذا المنطلق قد يخسر التحالف الدولي بقيادة واشنطن وحدته وتماسكه على الأرض في ميدان المعركة، وكما جرى قبل ذلك في الصومال وأفغانستان وباكستان، وفي العراق منذ الاحتلال الأمريكي عام 2003 حتى الآن.

*عميد متقاعد وباحث استشاري في مركز الشرق للبحوث في دبي.

الحسابات الأميركية والمعركة المؤجلة بين «النصرة» و «داعش»

■ حكم عاقل

خلال الأسبوعين الماضيين، كثفت الولايات المتحدة الأميركية ضرباتها الجوية ضد تنظيم "الدولة الإسلامية"، فبلغت حوالي المائة غارة جوية على قواعدها الثابتة وقواتها المتحركة على الأراضي العراقية. لكن الجنرال المتقاعد ديفيد ديتبولا، من سلاح الجو الأميركي، والذي شارك في حرب افغانستان في العام 2001 ضد تنظيم القاعدة، صرح لوكالة "فرانس برس: "ما يتوجب عمله هو القيام بحملة قصف مكثفة. فاستخدام القوة الجوية يجب أن يكون أشبه بعاصفة وليس برذاذ المطر... وضغط القوات الجوية يجب أن يكون بصورة متواصلة للتمكن من وقف زحف مقاتلي التنظيم المتطرف وشل حركتهم وفعاليتهم".

وبما أنه لم يعد للحدود بين سوريا والعراق وزن من منظور "داعش" العسكري واللوجستي، فإن القضاء على الدولة الإسلامية يتطلب كثافة جوية مماثلة كالتي تحدث عنها ديتبولا تطال قواعد التنظيم في سوريا. لكن الاستراتيجية العسكرية المتبعة في أفغانستان والتي أعلن "البنتاغون" نيته استخدامها في الشرق الأوسط لازالت مؤجلة حتى الآن.

هناك معركة أخرى مؤجلة أيضاً يبدو أن الجغرافيا السورية ستشهدها لاسيما في منطقة القلمون بين "جبهة النصرة" و"تنظيم الدولة الإسلامية" أو من هم محسوبون عليها. فلا تنظر "النصرة" بعين الرضا لتنامي قوة "تنظيم الدولة الإسلامية" في القلمون لاسيما بعد ظهور الأخيرة في عرسال. وتوجد حتى الآن في القلمون مجموعتان رئيسيتان. مجموعة أبو حسن الفلسطيني، يقودها الآن المدعو أبو طلال بعد أنباء عن مقتل الأول في معارك عرسال. ومجموعة أبو أحمد جمعة (الموقوف حاليا في لبنان) والمحسوبة على "داعش" رغم أن الاخيرة قد رفضت بيعتها.

وبالرغم من قلة عدد مقاتلي "داعش" مقارنة بمقاتلي الفصائل الأخرى إلا أن العدد مرشح للازدياد، لاسيما مع إمكانية وصول تعزيزات، واستيقاظ الخلايا الداعشية النائمة في الوقت المناسب، مع توافر احتمال حدوث انشقاقات ضمن "النصرة" وغيرها للالتحاق بـ "داعش" كما حدث في وقت سابق. ويبدو أن "النصرة" باتت تفكر جدياً في القضاء على "الدولة الإسلامية" في القلمون قبل استفحال خطرها. لكن أمير النصرة في القلمون أبي مالك أعلن مؤخرا عن قرب بدء بمعركة حاسمة ضد النظام السوري و"حزب الله" مما يعني أن مواجهة "داعش" معركة مؤجلة، لاسيما وأن "النصرة" قد تضطر لإشراك "داعش" في هذه المعركة أو قد تضطر الأخيرة الى ذلك، على غرار ما حدث في عرسال، وإن لم يتعدَ تنسيقاً محدودا فرضه الأمر الواقع هناك.

بدا واضحا أن "النصرة" تحاول أن تنأى بنفسها عن مجازر "داعش" المهولة لاسيما بحق الأسرى، فعلى سبيل المثال قامت "النصرة" بالإفراج عن الصحفي الأميركي بيتر ثيو كريتس رداً على ذبح "داعش" لزميله ومواطنه جون فولي، كما قامت بالإفراج عن خمس عسكريين لبنانيين رداً على ذبح "داعش" للرقيب علي السيد. ويبدو أن تعاطي الطرفين مع ملف الأسرى بات يكشف حجم العداء المتنامي بينهما.

لا تتفق "النصرة" مع "داعش" في تكفير عموم المسلمين حتى لو خضعوا لأنظمة لا تحكم بشرع الله. كما تنفي حتى الآن امتلاكها لأي مشروع خاص بها في سوريا، وتضع إسقاط النظام كأولوية، مقدمة هذا الهدف على إقامة دولة الخلافة والحكم بالشريعة. لكن ذلك لا يعني خلافا عقائديا جوهريا كما يذهب البعض، بقدر ما يعبر عن خلاف سياسي يستمد خطابه من ادعاء كل منهما بتمثيل الاسلام النقي والمسلمين الأتقياء. فكلاهما من تربة سلفية جهادية تتمسك بالفريضة الغائبة، ويرتكز فكرهما الأصولي على مفهوم "تمام الدعوة" (اليوم أكملت لكم دينكم. الآية) والذي ينظر إلى التاريخ البشري اللاحق للدعوة وإتمامها باعتباره انحرافاً عن الأصل، و ينبغي تصحيحه بالعودة لمقاربة ذاك الأصل أو مطابقته. لكن تفوق "داعش" على الأرض وإقامة دولة الخلافة كإنجاز إسلامي جهادي جعلها تبدو أكثر تطرفا، بينما تراجع قوة "النصرة" جعلها أكثر براغماتية. ومن خلال براغماتية جبهة النصرة علينا أن نفهم استخدامها مؤخراً لعبارة "حزب إيران" في وصف "حزب الله" وتجنبها لاستخدام كلمة "الروافض".

ربما يكون من مصلحة "النصرة" تأجيل المعركة مع "داعش" وتفضيلها الانتظار لما ستسفر عنه المواجهة الأميركية الجارية معها، لكن في الوقت نفسه على "النصرة" أن تخشى من حشود داعشية قد تتكدس في سوريا بعد تلك المواجهة في العراق وعدم استكمالها في سوريا. الأمر الذي قد يجعل مواجهتها مع "داعش" أصعب ويغدو معها القضاء عليها شبه مستحيل، لاسيما وأن طردها من القلمون يقضي على نفوذها هناك ولا يقوض التنظيم بكامله. فعليها، ومعها باقي الفصائل المسلحة، أن تأخذ بعين الاعتبار أن الولايات المتحدة الأميركية لم تحسم أمرها بعد بشان جناح تنظيم الدولة الاسلامية الناشط في الأراضي السورية، بالرغم من أن مقتل قتل الصحافي الاميركي جيمس فولي يمكّن، كما يرى باحثون استراتيجيون، الولايات المتحدة من تبرير تدخلها في سوريا بالاستناد الى شرعة الامم المتحدة عبر إثبات أن الحكومة السورية لا تحمي سوريا وأن واشنطن في حالة دفاع مشروع عن النفس.

في 1/9/2014 صرح فاروق طيفور عضو "الائتلاف السوري المعارض" لوكالة الأناضول، أن سياسة الولايات المتحدة الأميركية هي عدم تمكين أي طرف في سوريا من الانتصار، حسب ما نقله إلى أعضاء الائتلاف روبرت فورد السفير الأميركي السابق في سوريا. لذا فأن السؤال الأهم في هذه المرحلة: هل ستمضي الولايات المتحدة قدما وفق نيتها المعلنة بالقضاء على تنظيم الدولة الاسلامية، أم أنها ستكتفي بطردها من العراق وحشرها ضعيفة في سوريا بما لا يخل بموازين القوى المطلوبة أميركيا بين الفصائل السورية المسلحة من جهة وبينها وبين النظام من جهة أخرى؟

جديد الأزمة السورية: هل من حل؟

فيكتوريوس بيان شمس

تتقاطع عدّة تحرّكات عربية ودولية في أفق الأزمة السورية، يبدو أنّها سترسم في القريب خارطة طريق، ليس بالضرورة أن تفضي إلى حل مبرم، بل قد تنقل الصراع من طور إلى طور، تُجمع كل التسريبات على أنّه سيكون من أهم معالم هذا التطور، إسقاط بشار الأسد من المعادلة السياسية في المنطقة.

في تواتر، وتسارع الأحداث الأخيرة المتّصلة بالشأن السوري ما يُنبئ بجديد، أصبح لبلورته ضرورة جدّية بالنسبة لأطراف كثيرة كانت ومازالت لاعباً فاعلاً في هذه الأزمة التي باتت تستفحل أكثر فأكثر في الآونة الأخيرة منذ تهديد حدود "سايكس – بيكو" التي رسمها الاستعمار، وحافظت عليها النُظم التي استلمت السلطة بعد جلائه وإلى اليوم من قبل تنظيم "الدولة الإسلامية – داعش"، والذي بات يهدّد إذا ما استمرت الأمور على حالها بنسف هذه الحدود ورسم أخرى، تذكّر بـ "المجال الحيوي" كحدود لألمانيا النازية، و "إسرائيل" التي ليس لحدودها تعريف، أو شكل نهائي واضح، بما هي دولة احتلال لم تكتمل بعد بشكلها النهائي وفقاً لطموحاتها التوسعية.

هناك جملة من الوقائع التي ينبغي وضعها في سياق واحد، ومنها زيارة الوفد السعودي الرفيع الذي ترأسه وزير الخارجية سعود الفيصل إلى الدوحة أواخر آب/2014 بعد أن شهدت العلاقة توتراً بين البلدين، ثم انتقال الوفد إلى المنامة للقاء الملك البحريني حمد بن عيسى آل خليفة عقب ما سرّب عن "اجتماعات أوسلو" بين "معارضين" وموالين، بالتزامن مع ما نشرته صحيفة "الوطن" السعودية في 2014/8/28 عن مبادرة مصرية لحل الأزمة السورية، أبرز معالمها، استثناء رأس النظام السوري من أي حل. ثم لقاء وزراء الخارجية لدول "مجلس التعاون الخليجي" 30/ آب/2014 وما تمخّض عنه من النية في إعادة العلاقات الدبلوماسية مع قطر. بالإضافة لتغييرات ملحوظة في المنطقة، منها إزاحة نوري المالكي عن المشهد السياسي، وتصريحات أميركية تؤكّد نيتهم التدخّل عسكرياً في سوريا بعد قتل "داعش" للصحفي الأميركي جيمس فولي، وتصريحات وليد المعلّم التي رحّب فيها بالتنسيق مع الأميركيين. ثم أسر "داعش" لأعداد كبيرة من جنود "القوات الخاصة" التابعة للنظام، يرجّح أن عددهم تجاوز (450). بالإضافة لسيطرة كتائب "الجيش الحر" على آخر معبر مع الأراضي المحتلة في القنيطرة.

الأساس في كل هذا، أن "داعش" تجاوز على ما يبدو الخطوط المرسومة له، بحيث بات يهدّد أمن كل دول الإقليم، بالإضافة إلى مصالح دول أبعد، فبات من الضرورة تغيير قواعد اللعبة، التي قد لا يكون إنهاؤه واحداً منها. وهذا يقتضي التنازل، وربّما دفع الأثمان من بعض الأطراف، كأن تتوقف قطر عن دعم "الإخوان المسلمين" وبعض المنظّمات الدينية نزولاً عند رغبة السعودية. من جهة أخرى، إن كانت "المبادرة المصرية" المزعومة تقتضي إزاحة بشار الأسد، حيث لا بد هنا من الإشارة لتصريح الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند في 2014/8/28 عن استثناء بشار الأسد من الشراكة في مكافحة الإرهاب على اعتبار أنّه "الحليف الموضوعي للجهاديين"، فالثمن ربّما يكون، ربطاً بما يجري على الجانب السعودي – القطري، تنازلاً غربياً، يسمح لإيران بإكمال مشروعها النووي كلياً أو جزئياً بما يوفّر للأمريكان ذريعة للبقاء في المنطقة، لما قد يحدثه ذلك من قلق لدى دول الخليج بطبيعة الحال، وبالتالي إمكانية لاستمرار ابتزازها، تأتي إعادة تأكيد وزير الخارجية الروسي في مؤتمره الصحفي من نظيره الإيراني 2014/8/29، دعم بلاده "حق ايران في تخصيب اليورانيوم لأغراض سلمية برقابة دولية" في هذا الإطار.

وعلى عكس ما يُعتقد، من أن النظام سلّم بعض ألويته ومطاراته في مدينة الطبقة وباقي مناطق الشمال لـ "داعش"، إلا أن المسألة أعقد من ذلك، خاصة بعد الخسائر التي تكبّدها "حزب الله" في أكثر من منطقة على حدود لبنان، وعودة الفصائل الشيعية العراقية من حيث جاءت، إضافة إلى أن عديد قوات النظام لا يتجاوز الـ (70 ألفاً) بحسب تقديرات متعدّدة، إضافة إلى أن خسائره البشرية الهائلة تسبّبت له بإرباكات وأزمات كبيرة في حاضنته الاجتماعية، كل هذا يعني انعدام قدرته على المحافظة على قواعده البعيدة، أو استعادتها بعد خسارتها.

هذا يعني أن النظام أصبح أمام أحد خيارين: إمّا أنّه بات يراهن فعلاً على تدخل أميركي لمواجهة خطر التطرّف الذي تسبّب في إيجاده، وما عاد باستطاعته بعد استفحاله، مواجهته بقدراته الذاتية، أو حتى بمساندة الميليشيات الطائفية التي كانت تعمل معه. وبهذا يكون بموقع من يُعد نفسه للبقاء عبر صفقة تبادل خدمات متعدّدة مع الغرب. أو أنّه في الاحتمال الثاني يدرك أن له دور وظيفي مرحلي، سيؤدّيه ويغادر، من أهم نتائج هذا الدور، شرذمة المنطقة وإضعافها بتطييفها بعد استكمال تدميرها، ممّا يتيح لإيران لعب أدوار مستقبلية، تتقاطع مع مصالح غربية في إبقاء شبح الطائفية المرعب مخيّماً على المنطقة، بوجود "إسرائيل" كقطب آخر مكملاً لمعادلة التوازنات في منطقة مجزّأة، يصعب في المدى المنظور إعادة تجميعها، فتكون منبعاً لإرهاب قد يستفحل خطره ويبدأ بالتمدّد باتّجاه دول الجوار. كل هذه السناريوهات تشكل خطراً على بعض الأنظمة المحيطة، ومنها على وجه الخصوص دول الخليج التي يبدو أنّها باتت تدرك حجم المخاطر، وأنّها أمام عدّة مخارج صعبة، عليها المفاضلة بين أهونها شرّاً.

إذا كان ما تقدّم صحيحاً، فهذا يعني أن الدور المصري عبر مبادرته يرمز لتغييرات قد تُترجم إجرائياً بإقصاء "المعارضة" التي يشكل "الائتلاف الوطني لقوى الثورة" عمودها الفقري، بما تحتويه من "حركة الإخوان المسلمين"، واستبدالها بأخرى أكثر قبولاً لكل الأطراف. حري هنا تذكّر أن فريق "أوسلو" سبق وأن ناقش مع الجانب المصري رؤيته للحل في سوريا، هذا يعني أنّه قد يكون البديل المحتمل. لكن لـ "أوسلو" دلالاته التي تعني أن إزاحة بشار الأسد قد تتم بشكل تدريجي تتخلّله حكومة انتقالية، أو "وحدة وطنية"، تمهّد لمخرج، يأخذ مصالح كل الأطراف بعين الاعتبار، باستثناء مصالح الشعب السوري.

لبنان بلا رأس يواجه تحديات انتهاء الطائف

■ المحرر السياسي:

بعد 25 عاماً من توقيع اللبنانيين اتفاق الطائف يواجه هذا البلد تحديات كبيرة في الحفاظ على الصيغة التي أنتجها الاتفاق الشهير الذي كان مقدمة لنهاية الحرب الأهلية في لبنان.

لبنان بلا رأس، فما زال اللبنانيون غير قادرين على انتخاب رئيس للجمهورية بعد انتهاء ولاية الرئيس ميشال سليمان في 25 مايو/ أيار الماضي، وكانوا قد واجهوا قبل ذلك تحدي تشكيل الحكومة الذي دام لما يقارب تسعة أشهر، وعلى الرغم من تشكيل الحكومة لكن عملها يبقى مقيداً على مستوى القوانين بانتخاب رئيس جديد للجمهورية.

لم يتمكن اتفاق الطائف من سحب سلاح حزب الله الذي تشكل بدعم مباشر في عام 1982 من الجمهورية الإسلامية، وبقي سلاح الحزب هو القوة الضاربة في لبنان على حساب الجيش اللبناني الذي بقي تسليحه ضعيفاً وقديماً، بينما راحت ترسانة حزب الله من الأسلحة والصواريخ تنمو بدعم وإشراف الحرس الثوري الإيراني.

سياسياً، كان النظام السوري بعد الطائف هو راعي سياسات لبنان، والمشرف على بناء التوافقات فيه بين مختلف الأفرقاء السياسيين، وعلى الرغم من انسحاب الجيش السوري في لبنان بعد مقتل رفيق الحريري في عام 2005 فقد بقيت ذراع النظام السوري قوية في لبنان عبر شبكات النفوذ والمصالح، وفي مقدمتها حزب الله.

احتكر حزب الله المقاومة في لبنان، وتراجع دور القوى والأحزاب الوطنية، وبات الحزب هو «مقاول» المقاومة، وباسمها فرض شروطه على باقي الأطراف، وعطّل عمل الحكومة في أكثر من مرة، كما هدد بقوته اللبنانيين في 7 مايو/ أيار 2008، حين سيطرت عناصر الحزب على شوارع بيروت في استعراض لقوة الحزب، وترهيب فريق 14 آذار، ونواته الصلبة «تيار المستقبل».

لكن، الثورة السورية وتحولاتها فرضت على لبنان الانخراط في الأزمة، ولئن كان لبنان قد أعلن رسمياً النأي بالنفس عن الأزمة السورية، لكن الواقع الفعلي أثبت عدم قدرة لبنان في أن يكون بمنأى عن مجريات الأزمة السورية، فقد انخرط حزب الله في القتال إلى جانب النظام السوري، وهو ما حذّرت منه قوى وشخصيات لبنانية كثيرة، كما رأت العديد من الدراسات أن انخراط الحزب إلى جانب النظام السوري سيكون له ارتدادات لبنانية عاجلاً أم آجلاً.

انقسم اللبنانيون حيال الأزمة السورية، ووقف مناهضو حزب الله إلى جانب الثورة السورية، وحدثت اشتباكات متكررة في طرابلس على خلفية الحدث السوري، كما ظهرت أصوات عدة ترى أنه من واجب «سنة لبنان» دعم الثورة السورية، في مواجهة إيران وحزب الله، وقد شهد لبنان خلال العام الماضي العديد من التفجيرات، وطال بعضها شخصيات قيادية في حزب الله وأماكن محسوبة على الحزب اجتماعياً وأمنياً.

وأدى انخراط حزب الله إلى نهاية مقولة الحزب المقاوم، فسلاح الحزب لم يعد موجهاً إلى العدو الإسرائيلي، وإنما إلى السوريين، وبذلك أصبحت شرعية سلاح المقاومة لبنانياً وعربياً مفقودة، وخسر الحزب مناصريه في الساحة السورية والعربية، فلم يستطع الحزب أن يحافظ على المكانة التي حققها بوصفه حزباً مقاوماً، كما توضح أن حساباته الإقليمية هي أهم من حساباته الداخلية، وأن استقلاليته تجاه المشروع الإيراني غير موجودة.

أما الناحية الديموغرافية في لبنان فهي الأخرى لم تكن بعيدة عن التغيّر نتيجة للحدث السوري، فقد تجاوز عدد اللاجئين السوريين في لبنان المليون لاجيء، وهم في معظمهم من مدن وبلدات مجاورة للبنان، مثل حمص، والقلمون، والقصير.

يشكل اللاجئون ما نسبته ربع سكان لبنان، وهم في معظمهم من السنة، وهو من غير المتوقع أن تكون عودتهم قريبة، وقد أثار وجودهم مخاوف من تغيير الوضع الديموغرافي في لبنان وتبعاته على توازنات القوى السياسية القائمة أساساً على التمثيل الطائفي، وأعاد إلى الأذهان تجربة لبنان مع القوى الفلسطينية في سبعينيات القرن الماضي، حيث كان لتلك القوى دور رئيسي في مجريات الحرب الأهلية في لبنان.

وتأتي الأحداث الأخيرة في عرسال لتضع الجيش اللبناني أمام تحدٍ كبير في مواجهة القوى الراديكالية المقاتلة على الساحة السورية، خاصة مع خطف جنود لبنانيين، كما أثارت هذه الأحداث أسئلة كبرى بما يخص الأسباب الحقيقية والعميقة التي أدت إلى مثل هذا التطور اللافت، وفي مقدمتها هشاشة الحدود السورية اللبنانية، وقدرة المقاتلين السوريين على التوغل في الأراضي اللبنانية، خاصة أن كل المناشدات لحماية الحدود قد باءت بالفشل، خاصة مع رفض حزب الله المتكرر لهذا الأمر، ليبقى مستفيداً من توغل قواته في الأراضي السورية.

وفي الأيام الأخيرة دعت جبهة النصرة «المسلمين السنة في لبنان لمناصرتها قبل أن يدفعوا الثمن»، وقالت إن الفترة القادمة «ستكون حاسمة تجاه كل من وقف مع الجيش اللبناني».

هل بدأ لبنان ينزلق نحو حرب أهلية جديدة، أم أن اتفاق الطائف لم يعد مفعوله سارياً وهناك متغيرات تحتم على لبنانيين إيجاد تسويات من طبيعة جديدة؟.

المؤكد أن لبنان أمام تحديات إعادة إنتاج صيغته السياسية، وأمام تحدي ملء الفراغ الذي تركه ضعف سوريا في الملف اللبناني خلال العامين الماضيين، فثمة حاجة موضوعية إلى إيجاد توازن خارجي وداخلي، لكن قبل وجودها ربما يدفع لبنان أثماناً باهظة.

دور التعليم في مجتمع المعرفة

د. عبد الله تركماني (*)

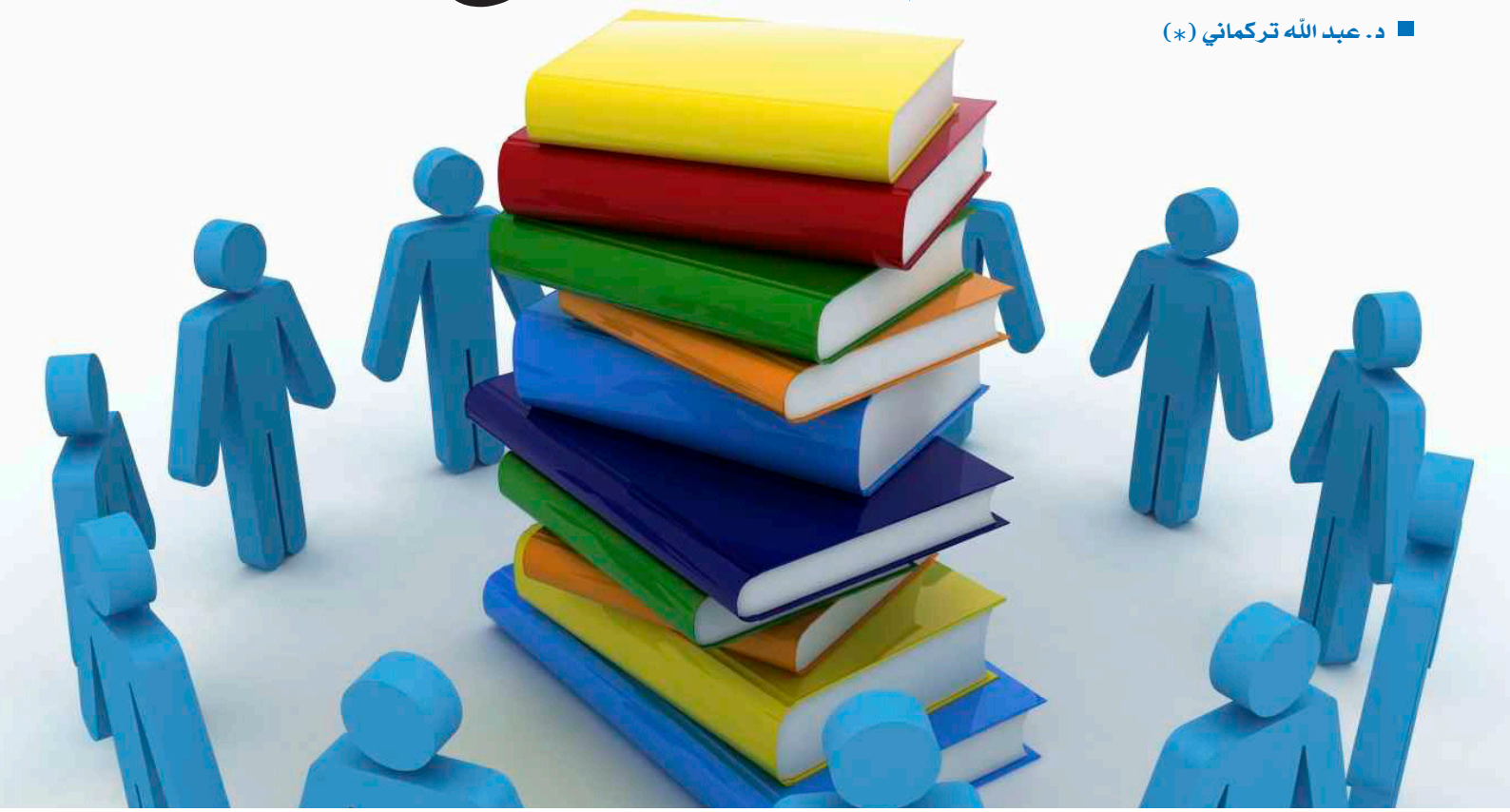

أمام الثورة العلمية والتكنولوجية الهائلة التي تصاحب مجتمع المعرفة لابد من توفّر نظام تعليمي يحقق الجودة، ويمنح الفرصة للحصول على خبرات تعليمية تلبي الاحتياجات الآنية والمستقبلية لدفع عجلة التنمية الشاملة. فلم يعد كافياً أن يعتمد التعليم على نقل الخبرة من المعلمين إلى الأجيال القادمة، لأنّ المستقبل يحمل الكثير من التحديات، لذلك من الضروري أن نسلّح أبناءنا بالقدرات التي تمكّنهم من التعامل مع مشاكل وسيناريوهات لم نعاصرها ولم نتعامل معها ولم نتخيل إمكانية حدوثها.

لقد تغيّر مفهوم التعليم تغيراً جذرياً وشاملاً في هذه الحقبة الزمنية التي تظللها ثقافة مجتمع المعرفة وتسيطر عليها آثار الثورة التكنولوجية والمعلوماتية، حيث أصبحت المعرفة الكلية بديلاً عن الاختزال، وأصبح التعليم لا يرتبط بالمدرسة وفترة التلمذة فحسب، ولكنه تعليم مستمر يسمح بحق الاختيار وحرية الاختلاف. وحيث أصبح التعليم هو المحرك الأساسي لمنظومة التنمية الاجتماعية الشاملة، وهو الوسيلة الفاعلة لتمكين الإنسان من الخبرات والقدرات، ولإيجاد فرص العمل المتاحة في الإنتاج كثيف المعرفة.

وإن كان هذا يعني شيئاً فإنه يعني أنّ مجتمع المعرفة يرتبط بمفهوم مجتمع التعليم الذي يتيح كل شيء فيه فرصاً للفرد ليتعلم ليعرف، ويتعلم ليعمل، ويتعلم ليعيش مع الآخرين، ويتعلم لتحقيق ذاته. وكل ذلك يتطلب ضرورة وجود شريحة عريضة من المجتمع على مستوى تعليمي عالٍ ومتطور وقادر على الإبداع والابتكار، وهذا يمثل تحدياً لنظم التعليم في مختلف المجتمعات، ويلقي عليها مسؤولية سرعة تطوير نفسها، بحيث تصبح مجتمعات منتجة للمعرفة.

ما هو موقع ومكانة العرب في هذه المعادلة الجديدة ؟ وما هي العدة التي أعدتها الدول العربية لمجتمع المعرفة ؟ وما هي السياسات التنموية والاستراتيجيات المختلفة التي اعتمدتها للاستفادة من الانفجار المعلوماتي واللحاق بالدول المتقدمة وتفادي التهميش والتأخر ؟

إذا كان السبب الأول في ضعف الإنتاج والبحث العلمي والتقني في العالم العربي هو نقص الاستثمارات المادية والبشرية، فإنّ السبب الذي يفسر الضعف الشديد في عوائد مؤسسات التعليم والبحث العلمي العربي القائمة هو سيطرة الاستراتيجيات السياسية على هذه المؤسسات وحرمانها من الأطر الصالحة الكفء والمناسبة من جهة، ومن الاستقلالية التي لا غنى عنها لأي رجل علم وبحث ومعرفة ولأي تجديد وإبداع معرفي من جهة ثانية. فمن دون ذلك تتحول المؤسسات المعرفية إلى أجهزة وأدوات إضافية لتعزيز سيطرة النخب الحاكمة وتوسيع قاعدتها الاجتماعية التي تستند إليها ولا يبقى لها أية علاقة بميدان المعرفة، سواء أكان تعليماً أم بحثاً أم تجديداً تقنياً.

ومن هنا يشكل إخضاع مؤسسات البحث العلمي للاستراتيجيات السياسية وللصراع على السلطة وتقديم مقاييس الولاء في إدارة هذه المؤسسات على مقاييس الكفاءة والمعرفة، وتقييد الحريات الفكرية والسياسية للباحثين، وفي وسط الرأي العام معاً، وما يقود إليه من تكبيل للعقول الحية وإخماد لجذوة المعرفة وقتل لحوافز الإبداع، يشكل كل ذلك السبب الرئيسي لتخلف المنظومة العلمية التقنية، وضعفها الإداري والمعرفي، وعجزها عن الإنتاج والإبداع.

وليس من شك في أنّ مستقبل العالم العربي سيكون أكثر إشراقاً وأبعث على الأمل كلما ارتقى مستوى التعليم، وكلما زاد تدريب وإعداد التلاميذ علمياً وتربوياً. ويندرج هذا الجهد ضمن إطار محاولة توسيع خيارات الإنسان العربي، خاصة الحصول على المعرفة وضمان مستوى معيشي لائق، إذ ارتكز مفهوم التنمية البشرية على ثلاثة أبعاد:

1- تكوين القدرات البشرية، من خلال تحسين المستوى الصحي والمستوى المعرفي وتجويد المهارات الفردية والجماعية.

2- استخدام البشر لهذه القدرات للمساهمة في الأنشطة الإنتاجية والإبداعية والثقافية والاجتماعية والسياسية.

3- استخدام مستوى الرفاه البشري الذي وقع بلوغه لإثراء القدرات البشرية والقدرات المعرفية.

وفي الواقع، فإنّ مجتمع المعرفة لا يقوم بدوره إلا على أساس منظومة واستراتيجية للعلم والمعرفة من خلال التعلم مدى الحياة، أي الاستثمار في الموارد البشرية. إذ تظل مقولة التعليم هو الحل، في مواجهة التحديات الكونية، صحيحة. لأنه هو الذي يتمكن من الإسهام في تنمية بشرية كفيلة ببعث الحيوية والتجدد في مجتمعاتنا.

* باحث استشاري في " مركز الشرق للبحوث " – دبي